الوشم التقليدي على الجسد الأنثوي: جمال وهوية
قراءة أنثروبولوجية في الدلالات الرمزية

ساري وهيبة، طالبة دكتوراه جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم
د/ قريصات الزهرة، جامعة ابن خلدون تيارت

الملخص: إن دراسة ظاهرة الوشم على الجسد الأنثوي في المجتمع المحلي تأتي ضمن دراسة الثقافة المحلية الغنية بالمعاني والدلالات الرمزية التي أنتجتها الثقافة الجزائرية على مر الأزمنة انطلاقا من تصورات الأفراد وأفكارهم حول الجسد الأنثوي ومن هنا تبرز أهمية دراسة موضوع الوشم التقليدي على الجسد الأنثوي في المجتمع المحلي على اعتبار انه من الموروث الثقافي المادي للمنطقة الآيل للزوال والذي يحمل في طياته جملة من الدلالات الرمزية التي تعكس الهوية الثقافية للمجتمع المحلي وعلى هذا الأساس كان الهدف من هذه الدراسة الكشف عن الدلالات الثقافية التي يحملها الوشم التقليدي واستجلاء معانيها للوقوف على المنظومة الثقافية التي تتحكم في سلوك الأفراد وتميزهم عن غيرهم.

الكلمات المفتاحية : الوشم- الجسد الأنثوي – الرمز .

Abstract : The study of the phenomenon of tattoo on the female body in the local community comes within the study of the local culture rich in symbolic meanings produced by the Algerian culture over the years based on the perceptions of individuals and their ideas about the female body .Hence the importance of the study of traditional tattoo on the female body in the local community as it is the cultural heritage of the area near the demise ; which carries with it a set of symbolic signs that reflect the cultural identity of the community and on this basis was the purpose of this study to reveal the cultural connotations carried by the traditional tattoo and the clarification of its meanings to identify the system that controls the behavior of individuals and distinguish them from others.

Tags : tattoo - female body - symbol

المقدمة: منذ أن خلق الله الكون كان لكل جزء فيه لغته الخاصة التي يعبر بها ، فكان للحيوانات لغة تتجسد في أصواتها المختلفة التي تعبر بها عن حالة الفرح والسرور أو الحزن والوهن فكان للنحل رقصاته وحركاته الجسدية التي من خلالها توصل رسالة ببعد أو قرب مكان تواجد الرحيق وبذلك كان للغة المنطوقة كالأصوات واللغة الحركية كالرقصات مهمة تنظيم الرسائل المنبعثة .

لقد تميز الإنسان عن باقي مكونات المملكة الحيوانية **بالعقل** وكرمه الله بالنطق ليتمكن من إيصال أفكاره إلا أن اللغة لدى البشر لم تنحصر في الكلام فقط إنما تعدته إلى الحركات والإيماءات والرموز التي جسدها عل الصخور والتحف والزرابي بل على جسده، فاحتلت اللغة الرمزية مكانة مرموقة لدى

الإنسان في إيصال ما يختلجه من أفكار فكان الرمز الوسيلة التعبيرية التي أوصل بها الفرد أفكاره وعبر بها عن ثقافته ، هذه الأخيرة التي كانت المرتكز الابستيمولوجي للدراسات الانثروبولوجية والتي ينفرد بصناعتها الفرد وانطلاقا من كونه صانعا للثقافة وجب مساءلته لفك شفراته ومن ثمة الوصول إلى تمثلاته .

لقد كان الجسد الإنساني أول ما فكر فيه الإنسان أن يكون حاملا لهذه الرموز فجسدها عليه متحملا الألم لدوافع ذاتية جعلته يسم هذا الجسد ويلبسه ثوبا من الرموز فالتقت هنا الرمزية مع التعبيرية لتخلق لنا جسدا مشفرا يحمل العديد من المعاني الثقافية .فنجد الأنثى في المجتمعات المغاربية عموما والمجتمع الجزائري خصوصا تبدع وتتألق في الكتابة على جسدها بالوشم منذ القدم لتجعل من هذا الأخير نصا قابلا للقراءة والتأويل لأنه مليء بالمعاني المستترة التي تعكس لنا الخلفية الثقافية والهوياتية للمجتمع المحلي .

ومن هذا المنطلق نتساءل هل يصح لنا أن نفهم الوشم في حدوده المادية الجسدية أم انه يتجاوز ذلك إلى ما هو ثقافي ؟

الإشكالية: لقد ظل البحث في موضوع الجسد الأنثوي حبيس الأفكار الدينية والأخلاقية ما جعل الخوض فيه من الطابوهات إلا انه مع ظهور الانتروبولوجيا كحقل معرفي مستقل بذاته نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين أسهم بشكل كبير في فهم ثقافات المجتمعات من خلال رفع الستار عن بعض المواضيع التي كان البحث فيها محرما وقد أسهم في ذلك بزوغ العديد من الفروع التي انضوت تحت هذا التخصص ومن بينها الانتروبولوجيا الثقافية والانتروبولوجيا الرمزية .

ومن هذا المنطلق نتناول موضوع الجسد كمتن مفتوح على القراءة فهو موضوع قديم قدم الإنسان ذاته ومرتبط بوجوده فوجود الإنسان هو وجود جسدي والجسد حاضر بقوة في الرمزية الاجتماعية من خلال جملة الممارسات المرتبطة به والطقوس الاحتفائية التي احتضنت الجسد لفترة طويلة لذلك نتناوله باعتباره بناءا رمزيا ناتجا عن نظام قيمي وثقافي معين ووعاء يحمل العديد من التمثلات الثقافية .إن المجتمع الجزائري مثله مثل باقي المجتمعات يمتاز بخصوصيته الثقافية ذات البعد الرمزي والتي تتجلى في مختلف الممارسات والسلوكات ، ولفهم هذه الخصوصية وجب الكشف عن الدلالات والمعاني التي يبقيها أفراد هذا المجتمع على هذه الممارسات من خلال تحليل طبيعتها الرمزية .

إن من أبرز هذه الممارسات الكتابة على الجسد وما يعرف بالوشم ، فالمرأة لا تكتب على الورق فقط لأنها تبدع في الكتابة على جسدها لتجعل هذا الأخير عالما من الرموز يحوي دلالات من نوع خاص لان اللغة الرمزية يتميز بها الإنسان .

يعتبر الوشم من بين الممارسات التي عرفتها المجتمعات الإنسانية على اختلافها منذ القدم بما فيها المجتمعات المغاربية التي عرفت هذه الممارسة قبل ظهور الإسلام استمرت بعده رغم تحريمه لها لقول عليه أفضل الصلاة والسلام "لعن الله الواشمة والمستوشمة ....." والحجة فيذلك ما يتركه الوشم من تغيير في خلقة الله سبحانه وتعالى لكن قوة العرف جعلت هذه الممارسة من الرواسب الثقافية مما ساهم في بقائها واستمراريتها رغم التحولات الثقافية التي طرأت على المجتمع الجزائري هذا الأخير الذي مارس الوشم منذ حقب زمانية بعيدة بحيث لا تزال صوره المختلفة حاضرة على أجساد النساء إلى يومنا هذا .

ونظرا لهذا الحضور الملفت للانتباه للوشم على الجسد الأنثوي في المجتمع الجزائري عموما والمجتمع المحلي خصوصا وقع اختيارنا له كموضوع للدراسة انطلاقا من جملة من **الأسباب ذاتية وموضوعية** تمثلت **الذاتية** منها في محاولة فهم دلالات الرموز الموشومة وكيف تنظر لها المرأة داخل المجتمع المحلي (مدينة الشريعة ولاية تبسة) لان المرأة في هذه المدينة تلعب دورا أساسيا في إعادة إنتاج بعض الممارسات ومنها الوشم .

- حضور الظاهرة بصورتها التقليدية عند بعض القبائل البدوية وأبرزهم فرقة " الفراحنة " المتمركزين ببلدية ثليجان "بادية الظهر " الذين مازالوا يمارسونه إلى يومنا هذا وخاصة للأطفال .

- الرغبة في جمع الموروث الثقافي للمنطقة الذي هو في طريق الزوال .
- أضف إلى ذلك كوني من أفراد هذا المجتمع مما يسهل التغلغل فيه والكشف عن خباياه لمحاولة الإحاطة بتصوراتهم تجاه الظاهرة المدروسة

أما عن **الأسباب الموضوعية** تجلت في :

- تدوين الموروث الثقافي للمنطقة واستجلاء المسكوت عنه واللامفكر فيه باعتبارها أرضية هامة في البحث الانثروبولوجي المهتم بالموروث الشعبي
- تحفظ الكتابات العربية فيما يخص موضوع الجسد الأنثوي لأنه عادة ما يصنف ضمن المدنس والمحظور
- الكشف عن الأسباب الكامنة وراء اللجوء للوشم عل الجسد الأنثوي والدلالات التي تحملها هذه الممارسة في المجتمع المحلي .

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى تحقيق **هدفين** ، الأول يتمثل في إلقاء الضوء على الموروث الثقافي للمنطقة الذي هو بدوره جزء من الموروث الثقافي الجزائري الذي يستدعي الدراسة والعناية الخاصة لأنه يحمل في طياته الهوية الثقافية لهذا المجتمع .

أما الهدف الثاني تمثل في الوقوف على المنظومة الثقافية الرمزية التي أنتجتها الثقافة المحلية من خلال استجلاء الدلالات والمعاني التي يحملها الوشم التقليدي على الجسد الأنثوي في المجتمع المحلي .

إن اختيارنا لموضوع الوشم على الجسد الأنثوي من منظور انثر وبولوجي في المجتمع المحلي انطلق من جملة من التساؤلات التي إثارتها إشكالية هذه الدراسة التي تمحورت في **التساؤل المركزي** التالي :

ما هي الدلالات الثقافية والرمزية التي يحملها الوشم التقليدي على الجسد الأنثوي في المجتمع المحلي؟

تفرع عنه تساؤلات فرعية بمثابة فرضيات لهذه الدراسة تمثلت في :

1- **للوشم على الجسد الأنثوي في المجتمع المحلي وظيفة وقائية علاجية .**
2- **للوشم على الجسد الأنثوي في المجتمع المحلي وظيفة تزيينية .**
3- **الوشم على الجسد الأنثوي في المجتمع المحلي هو تملك للجسد الثقافي بعد هدم شكله الطبيعي .**

ولاختبار هذه الفرضيات ميدانيا تم الاطلاع على جملة من المراجع التي تناولت هذه الظاهرة بالدراسة والتي تنوعت بين كتب ومقالات علمية منشورة .منها :

كتاب -"**الاسم العربي الجريح** " لعبد الكبير الخطيبي ترجمة محمد بنيس والذي تناول موضوع الجسد الأنثوي في الثقافة المغربية وركز على مفهوم الوشم باعتباره من أهم الممارسات السائدة في المغرب واهم أشكاله ورموزه ومعانيه لدى المرأة المغربي .

-ودراسة عبد الجليل الطاهر المعنونة بـ: **المجتمع الليبي دراسة انثروبولوجية واجتماعية** .الذي تحدث عن الوشم من حيث المفهوم والنشأة وبعض العادات لدى المجتمع الليبي بالإضافة إلى دراسة الكاتبة الفرنسية M.GAUDRY الموسومة بـ: la femme chaouia des Aures التي تحدثت فيها باستفاضة عن أشكال الوشم لدى المرأة الشاوية بمنطقة الاوراس وأماكن وشمها دون الغوص في معاني هذه الرموز .

-ودراسة الزهرة إبراهيم المعنونة بـ: **الانتروبولوجيا و الانتروبولوجيا الثقافية "وجوه الجسد** " التي خصص فيها فصلا كاملا يتحدث فيه عن الجسد الأنثوي باعتباره حاملا ثقافيا من خلال الحديث عن ممارسة الوشم مركزا على التمثلات والتصورات إزاء هذه الظاهرة

-كما لا ننسى دراسة الباحثة صوفية السحيري بن حتيرة الموسومة بـ: **الجسد والمجتمع "دراسة انثروبولوجية لبعض المعتقدات المتعلقة بالجسد** " بحيث تحدثت عن مجمل الممارسات المتعلقة بالجسد الأنثوي في المجتمع التونسي ومن بينها الوشم وبعض أشكاله وتمثل الأفراد له هذه الدراسة التي تتطابق في كثير من الأحيان مع المجتمع المبحوث حتى في تسمية بعض الأشكال .كما لجانا إلى بعض المقالات **"وشوم الحنك"** للكاتب ليث الخفاف .ومقال **"الوشم في الفن الشعبي** " للكاتبة سوسن عامر **"تطور مفهوم الجسد من التامل الفلسفي الى التصور العلمي "**ليوسف تيبس الذي وضح لنا المقابلة

بين الجسد والروح في الفكر الفلسفي وكيف انتقل هذا المفهوم ليكون محل دراسات اجتماعية.بالإضافة إلى رسالة ماجستير للأستاذ بن سليمان إدريس المعنونة بـ: **الممارسات المغيرة لجسم الانسان** .الوشم انموذجا

إلا أن هذه الدراسات ركزت على كيفية الوشم واختلافها بين الشعوب والمراحل التاريخية لهذه الممارسة دون أن تغوص في الدلالات التي تحملها الرموز الموشومة لذلك ارتأينا إلى إكمال الدراسة بالخوص في معانيها وتمثلاتها في المجتمع المحلي .

المقاربة المنهجية :

يعرف كليفورد غيرتز الثقافة بأنها : " نمط من المعاني المتضمنة في الرموز والمتداولة تاريخيا وهي نسق من التصورات المتوارثة التي يعبر عنها في أشكال رمزية من خلالها يوصل وينمي الناس معرفتهم بالحياة واتجاهاتهم نحوها ".

فالرمز لدى غيرتز هو مفهوم واسع يشمل أي شيء يمثل معنا معينا لدى الأفراد [1] ، وانطلاقا من المفهوم الذي يعطيه قيرتز للثقافة وللرمز ونظرا لطبيعة الدراسة الانثروبولوجية فقد تم تبني المقاربة التأويلية الرمزية كمقاربة أساسية مؤطرة للبحث كونها ترى أن الثقافة هي نسق من الرموز القابلة للتأويل وعلى هذا الأساس فهي تبحث في الدلالات الاجتماعية والثقافية للرمز ومن هنا كانت الممارسات المرتبطة بالجسد الأنثوي عموما والوشم تحديدا تنطوي على دلالات رمزية نبحث عن المعاني التي يضفيها الأفراد عليها وبناءا على هذه المقاربة فإننا سنعمل على مستويين :

المستوى الأول : جمع المعلومات (التقارير) من المجتمع المحلي عن ظاهرة الوشم على الجسد الأنثوي وتدوينها وفق رؤى أفراد المجتمع المبحوث وهذا ما يسمى بـ: التجربة عن قرب .

المستوى الثاني : التفكير والتأمل بإمعان في الأسس المعرفية والفكرية لمل تم جمعه في المستوى الأول بغرض الوقوف على المعاني التي تحملها تلك الرموز والبحث عن الأسباب الكامنة وراء هذه المعاني .

وانطلاقا من هذه النظرة فان أفعال الأفراد تصبح عبارة عن نصوص قابلة للقراءة .

المفاهيم النظرية :

قد أطر هذه الدراسة مفهومين أساسيين هما الوشم والجسد

1- **مفهوم الجسد :**

لقد أخذ مفهوم الجسد أشكالا مختلفة لاختلاف الحقول المعرفية التي تناولته بالدراسة وبناءا على ذلك أضحى تحديد مفهوم الجسد من وجهة نظر واحدة أو داخل حقل معرفي معين أمر صعب كون هذا المفهوم يتجاوز ما هو محسوس إلى ماهو مجرد أن يجمع بينهما [2] .

لغة : الجسد le corps آت من الكلمة اللاتينية corpus أي الجزء المادي للكائنات الحية ، الجسم البشري بمقابل مع العقل والروح esprit.

أما في لسان العرب ورد أن الجسد هو جسم الإنسان ولا يقال لغير الإنسان جسد [3] والجسد هو بدن الإنسان [4] .

لقد أخذ موضوع الجسد في القرن العشرين اهتمام علماء الاجتماع الانثربولوجيا معتبرين أن هذا الأخير هو مرآة للحياة الاجتماعية والثقافات والسلوكات وبذلك أصبح الجسد وعاء للعادات الثقافية ما فتح الباب لدراسته لاعتباره بناء اجتماعيا وثقافيا وهذا ما أكده مارسال موس فأصبح بذلك أجمل مواضيع استهلاكنا على حد تعبير جون بود ريار [5] .

وغالبا ما اقترن الحديث عن الجسد بالجسد الأنثوي الذي ظل محل تساؤلات العلماء عبر حقب زمنية طويلة .

2- مفهوم الوشم :

وردفي لسان العرب وشم يشم ، وشم اليد أي غرزها بالإبرة ثم بالنؤور وهو دخان الشحم [6] ويبقى سواده ظاهرا .

أما من الجانب الاصطلاحي : يعتبر الوشم طقسا احتفائيا بالجسد يدل تغير حالة فرد ما (ولادة ، بلوغ ، زواج ....الخ) ما يعكس خصوصية هذا الفرد وهويته الاجتماعية ما يجعل تلك الرموز الموشومة ذات معنى للمجتمع المعني ما يجعل هذا الجسد حاملا لرموز وكتابات متباينة المعنى (الدلالة والوظيفة) فيصبح هذا الجسد فضاء خالصا للكتابة المتحررة من القيود النظرية والمنهجية

وتعني أيضا كلمة وشم : stigma في اليونانية أي الوخز بواسطة أداة حادة ساخنة حسب روايات هيرودوت الا أن هذه الكلمة آيلة للزوال في اللغة الفرنسية لتفسح المجال لكلمة trace (اثر) وmarque (سمة) .[7]

والوشم : tatouage اسم بولونيي أصله tatou أو tatahoo و ta معناها رسم وتحولت في اللغة الانجليزية إلى الفعل tatoo وهي قليلة الاستعمال في الفرنسية خارج معناه الضيق [8] والوشم هو : ان يجرح موضع من البدن حتى يسيل الدم ثم يحشى بالكحل فيزرق أثاره أو يخضر والوشام هي العلامات التي يخلفها الوشم [9] .

الدراسة الميدانية :

1-الأدوات والتقنيات :

وانطلاقا من هذه المقاربة التأويلية الرمزية ارتأينا إلى تحديد الأدوات البحثية للدراسة المتمثلة في :

- **الملاحظة بالمعايشة :**

إن طبيعة الموضوع المتعلقة بالوشم على الجسد الأنثوي في المجتمع المحلي قراءة انثروبولوجية فرضت علينا استخدام ملاحظة بالمشاركة باعتبارها أهم الأدوات المستخدمة في البحث الانثروبولوجي كونها تسمح للباحث بالمشاركة الحقيقية في الحياة اليومية وفي الأوقات الخاصة الاستثنائية وفي هذا

الصدد يقول فرانز بواس "لفهم ثقافة المجتمع لا بد من العيش فيه ومعرفة لغة الأهالي [10] وهذا لا يتحقق إلا عن طريق استخدام الملاحظة بالمعايشة كونها الوسيلة الأساسية في العمل الحقلي أضف إلى ذلك أن معرفة التصورات والمعاني الكامنة وراء الممارسات لا تتحقق إلا بالتغلغل والاندماج مع المجتمع المبحوث لذلك اعتبرت هذه الأداة من أساسيات البحث الانثروبولوجي التي استخدمها الانثربولوجيون في دراسة المجتمعات لأنها تمكن الباحث من الاطلاع على أدق التفاصيل والكشف عن حقائق الظواهر كما يراها ممارسوها فليس هناك وسيط بين الباحث ومجتمع البحث أثناء المعايشة[11]

- **المقابلة :**

لما كان هدف الانثروبولوجي هو الكشف عن المعاني الكامنة وراء الظواهر وتصورات الأفراد تجاه بعض الممارسات كان علينا من الضروري استخدام المقابلة كوسيلة أساسية في تحقيق هذا الهدف ونظرا لطبيعة الموضوع المتعلق بالوشم على الجسد الأنثوي في المجتمع المحلي تم اختيار المقابلة الغير الموجهة كونها تفسح المجال للحديث عن هذه الممارسة وتراعي خصوصية المبحوثين "كونهم مسنات اغلبهن غير متعلمات " بحيث تم توجيه أسئلة مفتوحة تتيح للمبحوث التحدث عن بعض خبايا الممارسة والوصول إلى تمثلاتهم الحقيقة تجاه الظاهرة وهذا ما أكده مالينو فسكي بقوله أن المقابلة غير الموجهة هي في حقيقة الأمر موجهة بأسئلة تفرض ذاتها على الباحث من خلال الحوار المرن الذي يدور بينه وبين المبحوث لان مرونة هذه الأداة تظل دائما ضمن الإطار الذي يضعه لها الباحث بما يحقق مصالح الدراسة.

- **الإخباريون :**

يعتبر الإخباريون من أهم التقنيات الأساسية لجمع البيانات في البحوث الانثروبولوجية لأنهم حلقة الاتصال بين الباحث ومجتمع البحث طول فترة الدراسة ، ونظرا لطبيعة البحث المتعلقة بالوشم على الجسد الأنثوي للمجتمع المحلي تم اللجوء إلى هذه الأداة كوسيلة جمع بيانات أساسية بحيث كان الإخباريون هم العجائز اللاتي يحملن وشوما على أجسادهن (الوجه اليد –الرقبة- الساعد- الرجل) فتمكنا من خلالهن من الحصول على أهم الرموز التي كانت توشم وسن الوشم ومعاني بعض رموز الوشم خاصة الوشم الفالي والوقائي .

لذلك كان الإخباريون في البحث حلقة وصل أساسية ومصدرا للمعلومات الخاصة بثقاتهم بالإضافة إلى ذلك فقد تم الاستعانة ببعض القائمات على الممارسة (الواشمات) على اعتبار أنهن يتمتعن بثروة معلومات حول الممارسة رغم صعوبة الحوار معهن على اعتبار تحريم الممارسة من الجانب الديني .

2- **الفضاء البشري :**

إن العلاقة بين الموضوع والمنهج علاقة متبادلة كون طبيعة الموضوع تفرض وتحدد المنهج الملائم لدراسته من جهة ومن جهة أخرى فان المنهج حتى يفعل لا بد من اختيار الأدوات والوسائل البحثية التي

تمكن من الوصول إلى الأهداف المسطرة وذلك لا يتسنى إلا باختيار وتحديد الأشخاص الذين لهم علاقة من قريب او بعيد بموضوع الدراسة .

وحتى نتجنب الوقوع في منزلقات العينة المحدودة بعدد والتي من شانها أن تغفل بعض الجزئيات التي يمكن ان تكون بالغة الأهمية في الدراسة الانثروبولوجية فان الفضاء البشري في هذه الدراسة بقي مفتوحا (والمقصود ليس مسحا شاملا) ليشمل الواشمات "القائمات على وضع الوشم " والمستوشمات "اللاتي يخضعن أجسادهن للوشم " والى غاية اليوم قد تم الاتصال والاحتكاك بـ 10 واشمات و86 مستوشمة داخل المجتمع المحلي ليكون العدد الكلي الذي تمت معه هذه الدراسة 96 امرأة .

الملاحظ في الخصائص المميزة في هذا الفضاء البشري هو السن فالواشمات مسنات تتراوح أعمارهم بين 65و70 سنة أما المستوشمات فقد صادفنا في هذه الدراسة 32 امرأة تتراوح أعمارهن بين 30 - 45 سنة أما البقية 54 فهن عجائز تتراوح أعمارهن بين 55-75 سنة فركزنا على متغير السن في هذه الدراسة وأهملنا متغير التعليم لأنه من خلال الدراسة الاستطلاعية التي أجريت توصلنا إلى أن الأم هي التي تشم ابنتها وبالتالي فان المستوشمة تصبح مفعولا به بناء على طلب الأم كما أن التعليم في الدارس لم يكن منتشرا في البوادي وفي الوسط النسوي تحديدا لأنه يتطلب التنقل من الريف إلى المدينة وظاهرة الوشم كما سيتبين لاحقا أنها ولدت في الريف وانتقلت إلى المدينة بفعل النزوح الريفي نحو المدن .

3-**الفضاء المكاني** :

أجريت الدراسة الحقلية ببلدية الشريعة الواقعة بالجنوب الغربي لولاية تبسة وهو مجتمع محلي مصغر خصب للدراسات الانثروبولوجية نظرا لتمسك أفراده إلى درجة معينة بالموروث الشعبي يقدر عدد سكانها بـ 75784 نسمة يتوزعون بمعدل 291 نسمة /كم وتتربع على مساحة تقدر بـ 267 كم2.[12]

لقد تم اختيار هذا الفضاء المكاني تحديدا كونه مازال يحافظ على العديد من الممارسات التقليدية بالإضافة إلى انه غني من الناحية الانثروبولوجية بالظواهر والممارسات التي تستدعي الدراسة والتمعن لرسم صورة عن طريقة تفكير أفرادها ما يسهم على مدى بعيد في نجاح التنمية المحلية انطلاقا من الخصوصية الثقافية للمنطقة .

تاريخية الوشم : (الوشم عبر العصور)

إن الحديث عن الوشم على الجسد الأنثوي يقودنا إلى التساؤل تاريخية هذه الظاهرة فمتى ظهرت ؟وكيف ظهرت ؟ وكيف مورست ؟ وهل بقيت على شكلها الأول أم تغيرت ؟ وما هي دواعي التغير إن حدث ؟

في حقيقة الأمر انه بين "الجسد- الجلد" و" الجسد- اللباس " نجد " الجسد- الوشم" هذا الأخير الذي ظهر بعد بلوغ الإنسان درجة من الرقي في آليات الاعتناء بالجسد يعود إلى التاريخ القديم عندما كان الناس يعيشون حياة "بدائية " يقدسون فيها بعض الحيوانات ويخشون بعض مظاهر الطبيعة فصار بذلك الجسد فضاء يشكل عليه الإنسان طوطمه الحيواني أو النباتي لمواجهة أو لصد مخاطر الطبيعة[13] .

لقد حظيت ظاهرة الوشم باهتمام خاص في الحضارة الفرعونية حيث كانوا يقدسون الموتى من الاغنياء والحكام فيضعون تحت تصرفهم كل ما يرغبون فيه عند عودتهم مرة ثانية للحياة وهذا ما تمليه عليهم عقيدتهم آنذاك فكانوا يضعون على ظهر الميت رمزا يشمونه به لون أحمر[14] .

. كما أن الحفريات كشفت عدة موميات تعود إلى 2000 سنة قبل الميلاد تحمل وشوما –تحافظ على جماليتها – عبارة عن نقاط موضوعة في أشكال متوازية .

أما عند اليونان فقد أقر هيرودوتس المؤرخ اليوناني الشهير أن الوشم من رموز الشرق التي يتباهى بها النبلاء[15] .

كما أن الصينيون عرفوا الوشم في العصور القديمة وكان الغرض منه تجميليا وهذا ما أكده الرحالة **ماركو بولو** من خلال ما أتى به المؤرخ الصيني (**ما- تيان- لين**) ق 12 م حيث أكد أن المرأة الشريفة التي تنتمي إلى عائلة غنية تضع ليلة زفافها وشوما خاصة لتتزين بأحسن الرسومات فكانوا بذلك يستخدمون لغرضين أولهما الزينة والجمال وثانيهما هو الجراحة ولقد وجد الوشم أيضا أيام القرطاجيين في عهد حنبعل حيث عثر على أقنعة طينية تحمل رسومات لرجال ونساء يضعون على أجسادهم وشوما مختلفة الأشكال كالهلال والخطوط العمودية والدوائر تتركز في وجوههم[16] .

لقد عرف العرب في الجاهلية الوشم وكانوا يطلقون عليه اسم الكتابة بالنقط حيث كان النساء يشمن على الوجه واليدين والزند أما الرجال يشمون على الصدر وقد تغنى الشعراء آنذاك بالوشم كقول زهير ابن ابي سلمى :

ديار لها بالرقمتين كأنها مراجع وشم في نواشر معصم

وقول طرفة بن العبد :

لخولة أطلال ببرقة تهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

أما في العصور الوسطى فقد لقي الوشم عناية خاصة في أوروبا واسيا فظهر وشامون محترفون أمثال :**ماك دونالد** في انجلترا وجورج يورشت في روسيا .

وبلغ الوشم ذروته في الفترة بين القرن 17 والقرن 19 حيث ازدهر الوشم اليانباني فوجدت تحف فنية تحمل أشكالا حيوانية تتميز بالقوة والشجاعة (كالتين ، الأسد ، الصقر) وغيرها الموشومة على أجساد السكان الذين يحتفلون بيوم المطافئ تمجيدا لرجالها .

أما في شمال إفريقيا فقد كان الوشم ولا يزال قائما عند بعض المجتمعات كمصر ، تونس ، المغرب ، ليبيا والجزائر .

لقد عرف المجتمع الجزائري كباقي مجتمعات المغرب العربي ظاهرة الوشم التي لفتت اهتمام الباحثة وخاصة الغربيين منهم الذين كرسوا وقتا طويلا لدراسة هذه الممارسة والاطلاع على أسرارها وخاصة العسكريين منهم أمثال : **الملازم بيجو** bijot الذي قام بدراسة حول الوشم نشرت في باريس 1920 في مجلة الانثربولوجيا وعلم الاجتماع . والباحثة **ماتيا قودري** التي ألقت الضوء على هذه الممارسة في

مؤلفها المرأة الشاوية بالأوراس . وكل هذه الدراسات تكشف عن تجذر الممارسة وقدمها والذي سنكشف عن أهم أشكاله والغاية منه في المجتمع المحلي لاحقا.

***- انواع الوشم في المجتمع المحلي :**

مما لا شك فيه أن الوشم نشأ في البادية وانتقل بفعل النزوح الريفي إلى المدن أين أضيفت عليه تقنيات جديدة فيقال أن فلانة عصرية وفلانة بدوية نظرا لوجود الوشم على جسدها وخاصة الوجه ومن خلال الدراسة الميدانية التي قمت بها في مدينة الشريعة –مجتمع البحث- خلصنا إلى وجود أنواع عديدة من الأشكال التي تشمها المرأة ولكل شكل من هذه الأشكال دلالة معينة تصب في وظيفة ما واستنادا إلى ذلك تم تقسيم أنواع الوشم استنادا إلى الوظيفة التي يؤديها كل رمز موشوم فنجد :

01-الوشم الاعتقادي "الفالي ":

نسبة إلى كلمة (فال) ويقصد بها المجتمع المحلي " التفاؤل والبركة " وهو كثير التواجد في المناطق المحافظة على تقاليدها حيث يعتقد سكان هذه المناطق أن الوشم يجنب المرأة الترمل لدى (الهنود) ويعطي الرجل القوة والطول لطرد الشؤم لدى (البرازيل) أما أفراد المجتمع المحلي فإنهم يفسرون العديد من الظواهر أو الأحداث سواء كانت مفرحة أو محزنة استنادا إلى المثل الشعبي القائل " نواصي وعتب وبعض من الذرية " فالنواصي هي جمع مفرد ناصية أي الجبهة أو الجبين وعتب أي عتبة المنزل والذرية هم الأبناء . فهذه العناصر الثلاث يعزى إليها النجاح أو الفشل وانطلاقا من هذا المثل تلجأ الأمهات أو النساء عموما إلى وضع الوشم الفالي اعتقادا منهن بمفعوله السحري القادر على جلب المسرات وإبعاد الأحزان ومن أهم أنواع التي كانت توشم للفال

*** وشم العياشة** : [17]

وهي مشتقة من العيش أي الحياة ، كانت تشمه الأمهات على الذقن أو الخد وغالبا على الجبين بواسطة الإبرة أو مشلطة ثم نضع غنجا بواسطة إصبعها على المنطقة الدامية فبعد 03 أيام يظهر اللون الأخضر للوشم ويسمى العياشة اعتقادا بأنه يحفظ الحياة وهذا النوع من الوشم لا يزال يمارس إلى غاية يومنا هذا .

ومن جهة أخرى يوضع هذا النوع من الوشم على جبين الطفل الذي توفي المولود الذي بعده كما يسميه أفراد المجتمع المحلي الاحرش[18] أو الحرشة "بمعنى النحس" فتشم الأم الابن الاحرش إما في جبينه أو في ساقه استنادا إلى إجابته عن السؤال تنطح (بمعنى الضرب بالجبين) وإلا تصك (الضرب بالرجل) اعتقادا منها بان هذا الوشم هو الذي سيحمي الأبناء الذين يأتون بعد هذا الطفل الاحرش من الموت وهنا تظهر لنا قيمة الاعتقاد في العادات والأعراف التي تطغى على الجانب الديني المجتمع المحلي بحث تعمد الأم إلى وضع الوشم مبتدئة باسم الله عليك توكلنا يا الله مؤمنة أن هذا الوشم هو الذي يعطي الحياة للأبناء .

أما عن شكل هذا الوشم فيكون على شكل علام (+) أو ما يسمى الصليب الليبي [19] لكن حسب آراء المبحوثين (الواشمات) فان هذا الرمز لا علاقة له بالمسيح لان هذا التقاطع يمثل تغلب قوى الخير على قوى الشر وبالتالي تمنح الحياة لهذا الفرد.

إذن من المستحسن أن يوشم الجبين لأنه موضع النظر حسب المثل فكل شيء يوجد أو يكتب على هذه الناصية فلما توشم سيعمل هذا الأخير على إبعاد الشر والأحزان وجلب الأفراح .لذلك يقال (نواصي وعتب) فالأمهات يتبركن (محط خير وبركة) بالوشم على الجبين لأنه يحمل مسار حياة الفرد من ميلاده إلى وفاته وهذا ما يصدقه المثل الشعبي القائل (المكتوب على الجبين تشوفو العين) بمعنى أن ما سيحدث للفرد خلال مسار حياته مدون على جبينه لذلك يوشم هذا الجبين اعتقادا من الأمهات إن هذا المسار إن كان يحمل أحزانا ستبتعد بفعل هذا الوشم لان إبعاد الأذى والشؤم لا يكمن في الوشم كرسم أو شكل إنما في عملية إسالة الدم هذا الأخير الذي كان منذ الأزل وسيلة لاقتران والتحام المقدس بالمدنس وكطقس من طقوس العبور كما يقال في المثل الشعبي "جرى الدم زال الهم" .

إن وشم العياشة يمكن أن يكون أيضا عبارة على نقطة بين الحاجبين . كما أكدت الدراسة الميدانية أنه يمكن أن يكون خطوط متوازية طوليا وعلى هذا الأساس كان الوشم الاعتقادي أو الفالي ذا مفعول سحري انطلاقا من الأشكال التي تضمنها والمتمثلة حسب تصريحات بعض نساء المجتمع المحلي – محور الدراسة – فيما يلي :

السبولة أي السنبلة : تدل على الخصوبة ووفرة الإنتاج تعويذة ضد العقم فالمرأة تضع السنبلة دليل على خصوبتها وقدرتها على الإنجاب (وبذلك تجلب الرجال من خلال هذا الوشم الذي ينقل خطابا أنثويا بامتياز إلى الآخر الرجل .

لا طالما كانت السنبلة رمزا للعطاء والخير والاكتفاء الذاتي من الناحية الاقتصادية لذلك كانت منذ القدم فال خير ونظرا لطبيعة المجتمع المحلي الذي يعتمد على الفلاحة بالدرجة الأولى خلدت هذه السنبلة عن طريق وشمها في اماكن مختلفة من الجسد الأنثوي إلا أن دلالتها اختلفت عن المعنى الاقتصادي لتتعداه إلى الخصوبة الأنثوية والتي تعني القدرة على إنجاب أكبر عدد من الأطفال اقتداء بعدد حبات القمح الموجودة في السنبلة وبالتالي تضع المرأة الجزائرية عموما ونساء المجتمع المحلي خصوصا هذا الرمز لتمرر للآخر الرجل القدرة على الإنجاب وهو خطابها الأنثوي بامتياز .

وشم السبولة "السنبلة "

2-الوشم العلاجي الوقائي "الجسد المريض ":

وهو من بين أهم أنواع الوشم لان له وظيفة علاجية ووقائية من الأمراض في المجتمع المحلي ، لقد ظل وسيلة علاجية وتمارس تحديدا على الأطفال الذين يعانون من الألم أو ما يعرف بمرض "الخيال " حسب المنطوق الشعبي الجزائري وغالبا ما يكون هذا الوشم على الجبين على شكل خط : أو على ظهر اليد على شكل خطوط متوازية (شلطات متوازية) وهو على العموم ليس الغرض منه الوشم إنما هو وسيلة علاجية بمعنى الهدف هو علاج المرض بواسطة هذا الوشم وتعتبر هذه الطريقة من أهم طرق التداوي الشعبية

*- **الخيال**: مرض يصيب الأطفال الأقل من عامين من أبرز أعراضه بريق العينين والفرار من مكان النوم ليلا .

إن هذ ا النوع من الوشم لا يزال يمارس إلى يومنا هذا ويظهر على جباه بعض الرجال والنساء من خلال الخط المجسد على الجبين كما هو مجسد على الصورة المرفقة . فيتجلى أن الوشم هنا هو تعويذة ضد المرض وصادفنا في بحثنا هذا العديد من المبحوثات الأتي يضعن وشوما ذات أشكال مختلفة مثل الدائرة وعلامة +والخطوط المسننة في أماكن مختلفة من أجسادهن وكلن السبب وراءها هو العلاج مثل ما هو موضح في الصور التالية :

لعلاج ما يعرف بالصفرا **لعلاج ألام الزندة"المعصم"** **لعلاج ألام الركبة**

لعلاج آلام الزندة"المعصم لعلاج ألام المعدة

3*الوشم التذكاري : (الجسد - الذاكرة)

وهو الوشم الذي يضعه صاحبه رغبة منه ، فكلما ينظر إليه يتذكر الظروف التي وضعه فيها ومضمونه لذلك هذا النوع من الوشم هو تدوين للحوادث المهمة لحياة الفرد أو الجماعة على أجسادهم [20] وتكون هذه الاوشمة في بعض المناسبات كالزواج مثلا وغالبا ما نجد هذه الاوشمة لدى العشاق فتشم الشابة اسم الرجل الذي رأته وأحبته أول مرة أو الحرف أول من اسمه ويكون في الساعد أو الصدر وهذا النوع قليل التواجد في المجتمع المحلي نظرا لقيم الحياء والحشمة التي عرفت بها المرأة داخل هذا المجتمع المصغر والتي يجبرها العرف الاجتماعي على التحلي بها .الا انه وجدنا في فضائنا البشري أفرادا وضعوا وشوما أثناء الحقبة الاستعمارية والتي تدل على الظروف التي كانوا يعيشونها مثل وشم الرومي "العسكري الأجنبي " ووشم الطيارة "الطائرة "كما هو موضح في الصور أدناه :

وشم الرومي وشم الغارة "الطائرات العسكرية "

04- الوشم الجمالي التزييني : (الجسد- الجمال)

غالبا ما نجد الوشم على الجسد الأنثوي يستخدم للزينة ويتم في أماكن مختلفة من الجسد بحيث ينسب الوشم إلى المكان الموجود به فنقول وشم الخد ووشم الذراع ووشم العنق ووشم الجبهة ...الخ واهم الأعضاء التي توشم نجد : اليد ، الذقن ، الصدر ، الكتف ، الذراع ، البطن (العانة) ، الفخذ ...الخ وهذا ما نجده على الكبيرات سنا[21] .

وقد كشفت الدراسة الميدانية أن هذا النوع من الوشم الأكثر شيوعا في المجتمع المحلي لذا تغنى به منذ القديم الشعراء عموما وسكان المنطقة خصوصا في بعض الأغاني الشعبية مثل أغنية لعيسى الجرموني تقول :

حدة ياحدة ويجيك الوشام
يوشم الزندا ويحط الذبان
ينقط بالنقطة خطوة لغزال
ينطع في نفطة وواد الزيتون[22]

وهنا يبين لنا المغني عيسى الجرموني في "حدة ياحدة ويجيك الوشام " إن الوشم كان يمارس كمهنة يقتات منها الوشامون فكان يجوبون القرى والأرياف حاملين الأدوات الأساسية للوشم (سكين أو مشلطة حادة أو ابر ومادة النؤور أو كما يسميها أفراد المجتمع المحلي الغنج الذي يملا به موضع الوشم ليعطي له اللون الأزرق أو الأخضر بعد ذلك وعشب يسمه أهل المنطقة "الرمرام " يطحن ويحك على المنطقة الموشومة) كما يوضح في البيت الثاني "يوشم بالزندا ويحط الذبان " بمعنى يشم معصم اليد وهو من أهم الأماكن التي تتباهى بها المرأة في المجتمع المحلي باعتباره قادرا على القيام بمجمل المهام التي تسند إليه ومن ثم يدل على قدرة المرأة على القيام بأشغال البيت فتتباهى المرأة في هذا المجتمع بكبر معصمها ومن ثم ذهبت تزينه بالوشم ومن ابرز ما يرسم عليه الذبان بمعنى حشرة الذبابة التي تمثل بشكل هندسي تتخلله نقاط أما في البيت الثالث "ينقط بالنقطة خطوة لغزال" يضع نقطة نقطة بواسطة الإبر مشبها المسافة بخطوة صغير الغزال فهو يوضح لنا طريقة من طرق الوشم وهي الوخز بالإبر بحيث تكون النقاط جد متقاربة مثل تقارب خطوات صغير الغزال أما في قوله "ينطع في نفطة واد الزيتون " وهو كناية عن بروز هذا الرسم الذي وضعه الوشام والذي يظهر من أماكن بعيدة مثل نفطة المجاورة حدوديا (منطقة تونسية) للمجتمع المحلي. وفي موضع آخر يقول:

لاتحلفي لايدقوك (لا تحلفي يمينا لانه ينعكس عليك)
ولاتمرضي طول عامك (لا تمرضي على مدار السنة)
لا سبد من الموت تديك (لا بد ان تاخذك الموت)
والدود يوكل وشامك (وتاكل الديدان وشمك)

نستنتج من البيت الأخير أن الوشم هو كتابة ترتبط بالجسد وتتحدى الزوال وتزول فقط بفناء هذا الجسد .

كما تغزل شعراء المغرب العربي في مواضع عديدة بالوشم الذي يضفي زينة وجمالا على المرأة كقول أحدهم :

وشمة على البزول يامزرقها (وشم على الثدي شديد الزرقة)
حرقت قلبي قبل ما نلحقها (حرق قلبي قبل أن أصل إليه)

انت طويلة والهواء في طولك (أنت طويلة طول الهواء)

يا ليتني وشام على بزولك[23] (يا ليتني أصبح وشما على ثديك)

تغنى الشاعر هنا بموضع آخر من مواضع الوشم وهو الصدر وتحديد الثدي مبينا القيمة الجمالية التي يضفيها هذا الأخير على الجسد الأنثوي متمنيا أن يكون موضع ذلك الوشم ومن هنا تتجلى لنا الوظيفة الاغرائية التي يؤديها الوشم على جسد الأنثى .

أشكال الوشم :

لا تعد ولا تحصى الأشكال الموشومة على الأجساد الأنثوية كما أنها في ذات الوقت تختلف من مجتمع إلى آخر وداخل المجتمع الواحد من قبيلة إلى أخرى ويمكن تقسيمها إلى مايلي :

- **أشكال حيوانية** : تؤكد لنا هذه الأشكال عن العلاقة القائمة بين الإنسان والحيوان منذ القدم من خلال اتخاذه لحيوان معين طوطمه الخاص ومن ابرز أشكال الحيوانات التي لاحظناها على أجساد عينة الدراسة الحمامة والأفعى **فالحمامة** رمز للحرية والسلام أما (الشكل 02) **الأفعى** فرمز للشر والغدر أو بالأحرى المرأة الشريرة (الشكل 01).

وشم الأفعى على ظاهر االيد وشم االحمامة على الساعد و بين السبابة والابهام

- **أشكال نباتية** : من ابرز واهم الأشكال النباتية التي كانت توشم على الجسد الأنثوي في المجتمع المحلي نجد :

. **سعف النخيل** : من أكثر الرموز المتداولة منذ القدم يوشم على الجبين ،يأتي بشكل خط مستقيم تتفرع منه خطوط صغيرة من الجهتين وهو من ابرز رموز الزينة والانتصار في المغرب العربي إلا انه في الجزائر كان دليلا هوياتيا يفرق بين الأهالي والأجانب ومن هنا تظهر الدلالة الأخرى للوشم بانتقاله من سمة جمالية إلى ما هو ابعد من ذلك انه حامل للهوية الاجتماعية فأصبح الجسد نصا قابلا للقراءة من طرف الآخر المغاير والمختلف الذي يتمكن من التعرف على الشخص الموشوم من خلال ما يحمله جسده من وشوم وهذا ما كان سائدا أيام الثورة التحريرية حيث كانت النسوة تضعن الوشم لهدفين الأول هوياتي يتجلى في التفريق بين الأهالي والأجانب والثاني تحصيني دفاعي لإبعاد المستعمر الذي كان ينتهك عرض الجزائريات وبالتالي لجأن النسوة إلى الوشم في الحقبة الاستعمارية بغرض حماية العرض والشرف من المغتصب وهذا ما أكدته الدراسة الميدانية .

وشم النخلة "سعف النخيل "

●**الأشكال الهندسية** : لقد أضحى الجسد الأنثوي لدى مجتمعات المغرب العربي حقلا للزخارف والرسومات الهندسية العفوية ، لقد بدا الوشامون بوضع النقطة وهي شكل هندسي وتحولت الى خط مستقيم ثم إلى معين ودائرة ....الخ [24]

ولقد عددت لنا الكاتبة الفرنسية M.GAUDRY في كتابها La femme chaouia des Aures مجمل اشكال الوشم التي تضعها المرأة الشاوية بالأوراس ومن بينها الأشكال الهندسية كما هو موضح في الصورة أدناه .[25]

وهنا تلفت الانتباه إلى أن هذه الوشوم سواء كانت خطوط مستقيمة او منكسرة فانها توضع لاضفاء جانب جمالي على الجسد الأنثوي المرغوب فيه من طرف الرجل .

وهنا تجدر الإشارة إلى الدلالة السيميائية للخط ، فمن المنظور الهندسي هو مجموعة غير منتهية من النقط بمعنى آخر انه ليس له حدود [26] إلا أن الخط الموشوم سواء على ذقن أو جبهة المرأة فانه محدود له نقطة بداية ونقطة نهاية ما يوحي بان هؤلاء النسوة لهن حدود تقيدهن ولا يجب الخروج عنها.

ويسمى الوشم الذي يكون على شكل خطوط **بالسيالة** ، ولقد لوحظ من خلال الدراسة الميدانية أن هذا الأخير تشمه الأمهات على جباه بناتهن بعد فترة البلوغ بغرض التزيين ومن خلاله تمرر رسالة للآخر بانها بنت ناضجة وبلغت سن الزواج ، بالإضافة إلى الأشكال الهندسية تلك فان المرأة في المجتمع المحلي تضع وشوما مستوحاة من الطبيعة كالهلال والنجمة والشمس .

وشم السيالة

فالنجمة : من أقدم الأشكال التي استعملها العرب في وشم الزينة بحيث كانت توشم لدى أفراد المجتمع المحلي على ظهر اليد بين السبابة والإبهام وتكون هذه النجمة خماسية وهذا ما يتوضح في الشكل رقم 15 الذي وضحته الكاتبة ماتيا كودري ان هذه النجمة في اعتقاد أفراد المجتمع المحلي تبعد العين الحاسدة والشريرة لاحتوائها على خمسة رؤوس فلطالما اعتبر العدد خمسة مقدسا لقدرته السحرية لإبعاد العين الحاسدة .

يوضح لنا الدكتور عبد الكبير الخطيبي في تصنيفه لبعض أشكال الوشم (المرأة – العدد) فلطالما كانت الأشكال الهندسية الموشومة ذات خمس مركبات إذ يحظى العدد خمسة بتقديس هائل منذ زمن بعيد لدى شعوب المغرب العربي فيذهب الخطيبي إلى إعطائه تفسيرا دينيا مستوحى من لفظ الجلالة الله أ.ل.ل.ه لكن هذا العدد ظهر قبل ظهور الإسلام فيرجعون العدد خمسة إلى يد فاطمة المنبسطة التي من شأنها صد العين والأذى.

وعموما فان جميع الأشكال التي توشم وتكون خماسية أو تحتوي خمسة أجزاء فإنها توشم للزينة ووراء تلك الزينة معنى مستتر تقديره صد العين والأذى وإبعادهما عن المرأة .

وقد تأخذ موضعا آخرا وهو الغالب لدى نسوة المجتمع المحلي وهو الخد لمعنيين الأول وهو صد العين والثاني لغرض تزيين الخد الذي يضفي عليه الوشم بلونه الأزرق أو الأخضر جمالا أخاذا كما هو مبين في الصورة أدناه والمأخوذة من إحدى المبحوثات :

وشم النجمة على الخد الأيمن

أما الشمس : تأخذ نفس الموضع الذي تأخذه النجمة أي بين السبابة والإبهام أو الخد وتشمه نساء المجتمع المحلي للزينة كما أن دلالتها الرمزية تنطوي على معنى الحرية والسلام فلطالما كانت الشمس إلها لدى العديد من الشعوب التي عبدتها ولقد أثبتت الدراسة الميدانية أن أفراد المجتمع المحلي يقومون بالممارسة تعكس لنا هذه القيمة التي تأخذها الشمس في حياتهم فأثناء سقوط سن أو ضرس احد الأطفال فان الأم أو الجدة تقول له أن يقابل موضع الشمس ثم يرمي تجاهها ذلك السن أو الضرس ويخاطبها قائلا "هاكي سن الداب وأعطيني سن الغزال " بمعنى أنه يدخل في علاقة طلب معها وكأن الشمس هي التي تهب .

وشم الشمس على الخد الايسر

نتائج الدراسة :

من خلال الدراسة الميدانية لظاهرة الوشم على الجسد الأنثوي للمجتمع المحلي نخلص إلى ما يلي :

1- الوشم هو ظاهرة أو ممارسة قديمة تنطوي على جملة من المعتقدات التي عرفت تطورا ملحوظ عبر الحضارات الإنسانية .

2- يعكس لنا الوشم مرحلة من الرقي التي عرفها الإنسان والتي أدت به إلى الاهتمام بجسده مما جعله يفكر في وشمه بغرض تزيينه وتجميله .

3- إن غالبية الأشكال الموشومة مستمدة من الطبيعة وهذا دليل بين على العلاقة الوطيدة بين الإنسان وبيئته وقوة اعتقاده في بعض النباتات .

4- الجسد كان ولا يزال فضاء تشكيليا من خلال ممارسة الوشم التي كان هدفها في أغلب الأحيان الزينة والجمال لهذا الجسد الأنثوي المطلوب من قبل الآخر الرجل .

5- للوشم وظيفة وقائية من خلال اعتقاد أفراد المجتمع المحلي في بعض الاوشمة التي من شانها العلاج والوقاية من الأمراض، وطقسية من خلال عملية سيلان الدم الذي اعتبر منذ القدم طقس عبور " سال الدم راح الهم " فقوة الاعتقاد بالمفعول السحري لهذا الطقس جعل أفراد المجتمع المحلي متشبثين به إلى يومنا هذا رغم تحريم الإسلام لهذه الممارسة ومن هنا تتجلى غلبة العرف الاجتماعي الذي تم تشربه عبر مراحل التنشئة الاجتماعية على النص الديني ،أي أن هذه الممارسة فرضت وجودها وهيمنتها لفترات طويلة حيث نافست هذه المعتقدات الغيبية بوجودها واستمرارها وهيمنتها ما جاءت به العقيدة الدينية وهذا راجع بالدرجة الأولى إلى المرأة التي تكرس هذه الممارسة حفاظا على تراث آبائها .

6- تلعب الأنثى في المجتمع المحلي دورا بارزا في إعادة إنتاج (على حد تعبير بورديو) وتفعيل الثقافة الشعبية لأنها الأكثر تمسكا بالتقاليد وهي القائمة على عملية الوشم فهي الأم التي تحمي أبنائها من الموت عن طريق وشم العياشة وتصرح بجاهزية ابنتها للزواج بوشم السيالة وتحافظ على نسلها من الموت من خلال وشم الحرشة وتصرح على قدرتها على الإنجاب وبكثرة من خلال وشم السنبلة وتزين زندها وصدرها ووجهها لتغري بجمالها الرجل فيقدم على التغني بها والزواج منها ...الخ ومن هنا كانت المرأة تحتل مكانة اجتماعية توكل إليها مختلف المهام الوقاية من المرض وعلاجه ،الزواج ، الإنجاب ....الخ

7- إن الوشم إذن ظاهرة أنتروبولوجية تعبر عن خصائص الإنسان الحضارية والثقافية، من خلال الطقوس التي يمارسها ، والعادات التي تعود عليها.بمعنى أن الوشم طقس أنتروبولوجي تعرف عليه

الإنسان منذ العهود الغابرة، ومازال يمارسه بشكل يومي. فضلا عن ذلك، يعتبر الوشم علامة سيميوطيقية رمزية تعبر عن هوية هذا الإنسان وكينونته وإنسيته وإثنيته العرقية والهوياتية، وتميزه بشكل جلي عن شعوب العالم، وتبين مدى اختلافه الشديد عنهم ، كما يعبر الوشم عن انتقال الفرد من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد والانتماء إلى الجماعة القبلية

8- الوشم علامة سيميائية للهوية، ورمزا للكينونة والإنسية. بمعنى أن الوشم مؤشر حضاري وثقافي على تواجد الإنسان في الزمان والمكان.لذلك، لذلك نجد بعض الجمعيات توظف بعض رموز الوشم في كثير من التظاهرات الأدبية والثقافية، على أساس أن الوشم هو علامة دالة على وجود هذا الإنسان محافظا على موروثه الثقافي ، انه يحيلنا إلى المقولة التالية التي تشبه الكوجيطو الديكارتي:" أنا موشوم إذاً أنا موجود".

الهوامش:

1 السيد حافظ الاسود : **الانثروبولوجيا الرمزية "دراسة نقدية مقارنة للاتجاهات الحديثة في فهم الثقافة وتأويلها "**، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، مصر ، د/ط ، 2001.ص.11.

2 الزهرة ابراهيم : **الانثروبولوجيا والانثربولجيا الثقافية "وجوه الجسد"** ،النايا للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2009 .ص.81.

3 ابن منظور : **لسان العرب** ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ج3 ، ط2 ، 1992 .ص.120.

4 نفس المرجع ج13، ص.47.

5 يوسف تيبس : **"تطور مفهوم الجسد من التأمل الفلسفي الى التصور العلمي** " مجلة عالم الفكر ، مجلد 37 ، العدد 4 ، 2009 .ص.36-37.

6 ابن منظور : **لسان العرب** ،ج 15 ،مرجع سبق ذكره ، ص220.

عبد الكبير الخطيبي : **الاسم العربي الجريح** ، تر : محمد بنيس ، منشورات الجمل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2009، ص.63-64. 7

8 عبد الكبير الخطيبي : المرجع السابق ، ص .65.

9 ابن منظور : **لسان العرب** ،، دار صادر ، بيروت ، لبنان ج 15. ص.220.

10 نخبة من أعضاء هيئة التدريس :**الانتروبولوجيا مداخل وتطبيقات** ،دار المعرفة الجامعية للطباعة والنشر ،الإسكندرية ،مصر ، د/ط ، 2005.ص .15.

11 فتيحة محمد ابراهيم ومصطفى حمدي لشوانتي "**مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان الانثربولوجيا** ، دار المريخ ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، د/ط 1988.ص.185 -186

جدول الاحصاء السكاني لمدينة الشريعة ومناطقها الريفية سنة 2008،مقر بلدية الشريعة . 12

13 الزهرة ابراهيم : **الانثروبولوجيا والانثربولجيا الثقافية** مرجع سبق ذكر ،ص .ص.127-128.

14 عبد الجليل الطاهر : **المجتمع الليبي دراسة انثربولوجية واجتماعية** ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، 1969 .ص.187.

15 عبد الجليل الطاهر : **المجتمع الليبي دراسة انثروبولوجية واجتماعية** ، مرجع سبق ذكره .ص.189.

16 .بن سليمان عبد النور : **الممارسات المغيرة لطبيعة الجسم الوشم لنموذجا** ، رسالة ماجستير ، معهد الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، 1997-1998.ص.19.

صوفية البحيري بن حبيرة : **الجسد والمجتمع ، دراسة أنثربولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد** ، دار محمد علي للنشر ، تونس ، ط1 ،2008 ،ص.225 17

مقابلة مع مخبر رقم 01 18

19 مقابلة مع مخبر 04

20 .بن سليمان عبد النور : **الممارسات المغيرة لطبيعة الجسم الوشم انموذجا** ، رسالة ماجستير ، معهد الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان ، الجزائر ، 1997-1998.ص.59-61.

21 مفقودة صالح : **المراة في الرواية الجزائرية** ، دار الشروق ، الجزائر ، ط2 ، 2009 ، ص.331.

22 مقابلة مع المخبر 4

23 صوفية السحيري بن حتيرة : **الجسد والمجتمع "دراسة لبعض التصورات والمعتقدات المرتبطة بالجسد** "، مرجع سبق ذكره ،ص.227-228.

ليث الخفاف : "**وشوم الحنك** " ،مجلة التراث الشعبي ،العدد03، دار الجاحظ للنشر ، بغداد ، 1979.ص.45. 24

Mathea Gaudry **: la femme chaouia des Aures** ;etude sociologie berbere ;ed /paul geuthner ; 25 paris ;France ;1929. p43.

26 بن سليمان عبد النور : **الممارسات المغيرة لطبيعة الجسم** ، مرجع سبق ذكره ص 81